السلام على القدس.. وعلى القدس السلام؟!

أنيس منصور

بصراحة

إذا انشغلنا كثيرا بالمشاكل الداخلية فى إسرائيل ، فمعنى ذلك أننا أوقعنا أنفسنا فى مصيدة الخلافات المستمرة بين الشعوب اليهودية فى إسرائيل . وقد يكون سبب هذا الانشغال رغبتنا فى أن نعرف من الذى سوف يصدر القرار القادم الذى يساعد على إخراجنا من « المأزق » الذى تردينا فيه . .

فنحن تارة ننظر إلى الحكومة ، وتارة ننظر إلى الشعب الذى أتى بها . فما دام الشعب متمسكا بحكومته ، كان ذلك دليلا على أنه يراها أفضل من غيرها . وأنها قادرة على حل المشكلات الصعبة التى تواجه الجميع . .

وإن كان من الصعب علينا أن نفهم بالضبط ما هذا الذى يحدث فى إسرائيل . فكل شىء معقد لأن هناك وجهات نظر كثيرة ، وهناك اختلافات طفيفة . ولكن مثل هذه الاختلافات تكفى لقيام مزيد من الأحزاب السياسية . .

ومن السهل أن يقال إنه لا اتفاق يتم على شىء . وأن يقال أيضا لا خلاف يتم على أى شىء . ومع ذلك فالأحزاب كثيرة .

وفى هذا التبسيط ظلم لجماعات تريد السلام حقاً حرصاً على أمان الشعب وأمن الدولة ومستقبل اليهود فى العالم كله . .

وحتى لا يزل الإنسان بقدميه فى مياه السياسة الإسرائيلية العميقة ، فلتكن هذه السطور مثل وضع القدم فى الماء وسحبها بعد ذلك . .

❁❁❁

فما الذى يمكن أن يحدث للقدس مثلا فى القريب ؟ . .

كلام كثير يدور حولها . هم يقولون من مئات السنين : العام القادم فى أورشليم . . ويقولون : إن نسيتك يا أورشليم تنسى يمينى . . أى إذا نسيها أى إنسان فهو كالذى ينسى ذراعه ، أو كالذراع التى تنسى أن لها جسما ! . .

والله قال لنا : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله » . غير أننا منذ نزول هذه الآية الكريمة لم يقل واحد منا : رمضان القادم فى القدس . .

ولا حتى بعد أن أكملت إسرائيل احتلالها للقدس فى سنة ١٩٦٧ . .

ونحن نرى أن القدس الشرقية جزء من الضفة الغربية . أى يجب أن تتحرر من الاحتلال الإسرائيلى ، وأن يكون لسكانها – باعتبارهم من الضفة الغربية – حق التصويت فى الانتخابات . .

وحتى إذا جعلنا حل هذه المشكلة على مرحلتين : الضفة الغربية أولا ، والقدس بعد ذلك ، فنحن نرى أن القدس لا تنقسم . القدس واحدة . وليست عاصمة لإسرائيل . .

والفرق بيننا وبين بقية العرب أنهم يطالبون بالقدس أولا ، والضفة ثانيا ، والجولان ثالثا ، وسيناء رابعا ، أما نحن فقد طريقنا إلى القدس حررنا سيناء تمهيدا للحل الشامل للنزاع العربى الإسرائيلى ، وقيام الدولة الفلسطينية . .

وما دمنا قد اخترنا الحوار – أى الكلام – وسيلة للحل ، فلا اتفاق كثيرا على مدلول الكلمات . ولذلك كانت الاختلافات لغوية وفقهية . ورغم هذه الصعوبات فقد وجدنا لغة مشتركة ، أدت إلى اتفاق على التفاهم ، ثم اتفاق على الفهم وعلى السلام .

ووسط جهنم المتغيرات الدولية والصراعات العربية والأزمات السياسية والاقتصادية ، كان من الضرورى أن نلتزم فى أيدينا جميعا كل الأدوات الحادة المستخدمة فى معالجة القضايا القديمة الميتة ، والقضايا الحية المتجددة . وكان من الضرورى أن نستعير من الأطباء وسائل التوضيح والتشريح . . وأن نستعير من رجال الدين انتظار المعجزة السماوية ، ومن رجال الاقتصاد انفراج الأزمة المالية ، ومن رجال السياسة وجوههم المتقاتلة ، وأن نخفى وراء ظهورنا خناجرنا ، وأن نستعير من رجال الأدب مثل هذه العبارات التى تضيف مزيدا من الغموض إلى كل شىء ! . .

وفى فترة وجيزة تلبدت السحب فى كل مكان : إسرائيل تتشدد ، والمعارضة تتحفز ، والوزراء يخرجون أو يهددون بذلك ، واستطلاع الرأى العام يؤكد نفاد

صبر الشعب الإسرائيلى ويهود أمريكا وأوربا ، ويشيرون بإصبع واحدة تتهم شخصا واحدا : السيد مناحم بيجين . وحجة الجميع واحدة : أمن إسرائيل . فهم من أجل أمن إسرائيل لا يريدون أن تقف إسرائيل ضد العالم كله . والسيد بيجين من أجل أمن إسرائيل يجب أن يقف ضد العالم كله . فقد وقفت الشعوب اليهودية مئات السنين ضد العالم كله . واستطاعت أن تبقى أيضا . فلا خوف عليها من غضب الدنيا كلها ! . .

ومنذ أيام وصف وزير خارجية إسرائيل السيد شامير الأمم المتحدة بأنها « ماحور العداء للسامية » – أى أن العالم كله غلطان فى حق إسرائيل !

وليست إسرائيل وحدها المعادية للعالم كله ؟ !

أما الأساليب السياسية فى الابتزاز ، فهى تقليدية . وليس فيها جديد . فقد دفعت الحكومة الإسرائيلية عضوا فى الكنيست إلى اقتراح بأن تكون القدس عاصمة لإسرائيل . . ولا أحد يجرؤ على أن يعارض هذا الحلم ، أو يعترض على تجديد الاعتراف بالأمر الواقع . . ووافقت الكنيست على هذا القرار . وقد لا يكون لهذا الاقتراح أى صدى ، فإسرائيل ما تزال تحتل القدس شرقا وغربا منذ ١٣ عاما . ولكنها مناورة سياسية . ثم ترى الكنيست مرة أخرى إحالة هذا القرار إلى اللجنة السياسية . وقد لا يكون لهذا أى صدى سياسى . ولكنه استمرار فى « إغاظة » مصر والعالم العربى والأمم المتحدة . .

وقد جربت إسرائيل ذلك كثيرا . حتى أمريكا لم تستطع أن تجاريها أو تداريها . . إنما عارضتها وأدانتها .

أما قرارات الأمم المتحدة فهى تبعث على الضحك فى صياغتها أو فى مدلولاتها . وإذا لم تضحك إسرائيل هذه القرارات ، فلم يقنها أن تستخف بها . .

فقرار مجلس الأمن الخاص بالقدس يقول : يستنكر مجلس الأمن بأشد العبارات ، الإجراءات التى تغير الوضع القانونى لمدينة القدس . .

ولك أن تسأل ما معنى الاستنكار بأشد العبارات ؟ . . إن هذه الجملة توهمك بأن هناك تفسيرا لمعنى « أشد العبارات » . ولا تجد ملحقا أضيف إلى هذا القرار ، إنما فقط هذه العبارة . وانتهى التهديد .

وفى القرار أيضا أن مجلس الأمن « يدعو إسرائيل على وجه السرعة » إلى الرجوع عن كل ما اتخذته من إجراءات تؤدى إلى هذا التغيير . ولم يشرح لنا القرار معنى السرعة . ولا الوسائل السلمية أو اللاسلمية التى استخدمت فى نقل القرار وتوصيله وانتظار الرد عليه . .

ويقول القرار : وإذا كان رد إسرائيل سلبيا ، أو لم ترد ، يعود المجلس للانعقاد بلا إبطاء للنظر فيما ينبغى اتخاذه من إجراءات فى هذا الموضوع . .

ولم ترد إسرائيل . ولم تفعل أى شىء .

والمجلس بلا إبطاء . واتخذ مالا ينبغى – لأنه اكتفى فقط بالتهديد بالكلام والاستنكار الشديد وعلى وجه السرعة (؟ !) . .

وأصبحت قرارات الأمم المتحدة التى أدانت إسرائيل سبع مرات فى ثلاثة شهور ، مثل النكتة التى أطلقها السوفيت على الشعب الصينى . فقد ذهب رجل صينى إلى بيته ليجد

مناحم بيجين .. باع اليهود واشترى العرب

د. فيليب حبيب كان مفاجأة عنيفة

رجلا آخر فى فراشه . فقال له غاضبا : هذا هو الإنذار رقم ٢٤٢ . فإذا لم تبرح هذا المكان فى مدى ٢٤ ساعة فسوف أطلق عليك الرصاص ؟ ! . .

واستنكر مجلس الأمن موقف إسرائيل من القدس . وامتنعت أمريكا عن التصويت . لأن أمريكا ترى أن القدس ليست عاصمة لإسرائيل . ولذلك جعلت سفارتها فى تل أبيب . وجعلت قنصلها العام فى القدس الغربية ، وقنصلا فنصليا فى القدس الشرقية ! . .

وفى نفس الوقت أعلن السيد مناحم بيجين أنه سوف ينقل مكاتب رياسة الوزارة وبعض الوزارات الأخرى إلى القدس الشرقية . وكان فى نيته أن يحتل مكتبه المبنى القديم للسفارة السعودية فى حى الشيخ جراح فى القدس . لولا أن حذرته أمريكا من ذلك . وسوف ينقل مكتب رئيس الوزراء إلى القدس الشرقية . . وسوف يرى العالم كله أن السيد بيجين لم يحدث أى تغيير قانونى للقدس . . لأن وجود مكتبه ليس فى خطورة وجود قوات عسكرية أو قرار الكنيست أن القدس هى العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل ! . .

جابيه وايزمان .. طرد العرب إلى الصحراء

وفى نفس الوقت نحن نحاول أن نجلس سرا فى واشنطون . وبعد ذلك علنا لنناقش فى « جدوى » أو « عدم جدوى » استئناف المفاوضات . ويمكن أن توصف المفاوضات فى واشنطون الآن « بمفاوضات المفاوضات » لأن موضوعها ليس الحكم الذاتى والقدس . ولكن موضوعها هل نعود إلى التفاوض ؟ . . وإذا عدنا فهل نبدأ من البداية أو نكمل ما بدأناه ؟ . . أو هل نكتفى بتنشيط كل اللجان . حتى نزيل ذلك الجو القاتم الذى سيطر على الرأى العام هنا وهناك ؟ . .

أما الذى بدأناه فى مدينة هرتسلية فلم يكن سوى الجلوس معا . نشرب القهوة ونلعن أنهار الإرهاب وقتل الأبرياء . ثم لا ندخل فى جوهر المناقشات أما السبب فهو أن هناك « ضرورة » يجب أن نحل طلاسمها قبل أن نبدأ أى شىء . وهى : الأمن الإسرائيلى .

ومشكلة « الأمن » هى مشكلة إسرائيلية معقدة جدا . . ثم إنها مشكلة نفسية أولا . وتفاوضية ثانيا . . فإسرائيل حريصة على أن تضع بينها وبين الناس من الأصدقاء أو الأعداء « منطقة حراما » أو « شقة عازلة » . . وهذه الشقة الحرام تمنع الدخول إليها . وكانت قبل ذلك : الحدود الآمنة . أو كانت الحدود . . ثم كانت بعد ذلك الحدود الآمنة المعترف بها . . ثم الأمن . . ثم المستوطنات . . وأخيرا وليس آخرا : القدس ! . .

ووقفنا عند الأمن الإسرائيلى . ولم نستطع أن نتقدم خطوة واحدة . . وتوقف كل شىء بعد تصويت الكنيست على إحالة المشروع الذى تقدمت به السيدة جولا كوهين إلى اللجان المتخصصة . وقدمت إسرائيل توضيحا رآه الرئيس السادات مقبولا ومعقولا لاستئناف المفاوضات . ثم توالت الأحداث الاستفزازية فى إسرائيل . وتوسطت أمريكا بيننا . وإيمانا منا بصعوبة كل شىء . وعدم اليأس من أية محاولة . ذهبنا إلى واشنطون لنرى ما الذى يمكن عمله . وما الذى يمكن قبوله أو رفضه من ذلك .

ومن المؤكد أن الذى وافقنا عليه ليس هو الجوهرى . لأن الجوهرى مرفوض من الطرفين . اذن فلابد اننا وافقنا « على شىء ما » . لكى يوصلنا إلى « مناقشة » ذلك « الموضوع » الذى استحال علينا قبوله فى الـ ١٦ شهرا الماضية !

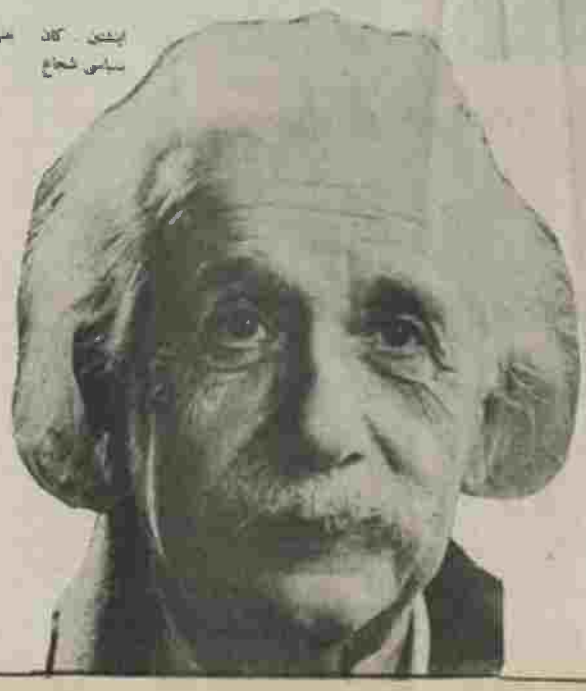

اينشتين .. كان مع سياسى شجاع

..فعلا عودة إلى الحلول العنيفة للمشاكل الأكثر عنفاً . .

لقد مضى ذلك الزمن الذى كان يرى فيه السيد فابتسيان أول رئيس لإسرائيل . ضرورة طرد العرب من فلسطين إلى الصحراء التى جاءوا منها ! . .

وكان السيد بن جوريون يرى طرد العرب إلى العراق — مع أن يهود العالم كله قد جاءوا من مدينة « أور » فى العراق ! . .

وكلا الرجلين يريد أن يفسح بالعنف مجالا على أرض الغير . للمهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم ! . .

وهى نزعات دموية . تماما كالذى يحل أزمة المساكن فى الضفة الغربية بوضع نصف الشعب فى السجون !

إذن . لقد تغيرت النظرة الى مثل هذه الحلول الخاطئة العنيفة . واهتدينا إلى الحوار وإلى الطريق الصحيح إلى السلام . وتجربة مصر هى الرائدة . ولم يهتد العرب إلى طريقة أخرى . وكل الطرق صعبة . فالمشاكل النفسية ما تزال حية ساخنة . والمتاعب السياسية والاقتصادية والضغوط الدولية أشواك مؤلمة فى الطرق المؤدية بيننا جميعا . ورغم ذلك فقد تحقق شىء كثير . ومن الممكن أن تكمل الطريق إلى آخر أهدافنا . وما حققناه هو الذى يشجعنا على الاستمرار . والاستمرار هو سر التفاؤل بين الشعوب التى تريد السلام قولا وفعلا . .

ومنذ أيام تلقى الرئيس السادات كتابا لم يطبع بعد . من الأستاذ جيرالد ناوير عالم الفيزياء فى جامعة تل أبيب . .

الكتاب يضم مجموعة من المقالات والخطب والرسائل للعالم الرياضى الألمانى اليهودى البرت اينشتين صاحب نظرية النسبية . . الكتاب بثلاث لغات : الانجليزية والعبرية

دالاس ... كسان مصيبة !

والعربية ، وعنوانه : « اينشتين والعرب والصهيونية وفلسطين » .

وفى الكتاب مناقشة حادة بين اينشتين والمؤرخ اللبنانى د . فيلب حتى . وفى هذا الكتاب يتحدث اينشتين عن متاعب الشعوب اليهودية فى العالم . وعن أملها فى التعايش مع الشعب الفلسطينى وأن السلام خير على الجميع وخيرهم . وأهم ما فى هذا الكتاب أنه يكشف لنا جانبا خفيا من حياة العالم الكبير ، وهو التزامه بالصهيونية وقضية الشعب اليهودى بحماسة شديدة – وهذا طبيعى ، ولكن لم يكن ذلك معروفا لنا . .

وقد جمعت جامعة تل أبيب هذه المقالات فى ذكرى مرور مائة سنة على ميلاد اينشتين سنة ١٨٧٩ . وفى ذكرى معاهدة السلام مع مصر . ورأت الجامعة أن تهدى باكورة أبحاثها عن السلام إلى رجل السلام : أنور السادات . .

ومن آمال اينشتين أن يكون حوار بين العرب واليهود ، بعيدا عن الدول الكبرى التى تعمل لحسابها . وأن يكون هناك « مجلس سرى » من اليهود والعرب . هذا المجلس يضم أربعة أعضاء مستخبين من نقاباتهم : طبيبا ومحاميا وعاملا ورجل دين . ويلتقى هؤلاء الثمانية سرا . ولا يصدرون أى قرارات علنية . وأن تكون هذه القرارات بالتصويت . ويرى اينشتين أن هذه هى قمة الحوار وأسلم الطرق إلى السلام بين اليهود والعرب فى فلسطين أو فى الشرق الأوسط . .

ويقول اينشتين : إن الرئيس ايزنهاور قد ضحى باليهود من أجل العرب . ويقول إن فوستر دالاس « مصيبة » . فقد تظاهر بالسلام أملا فى بلوغ أهداف استعمارية . .

وفى نهاية هذا الكتاب يقول اينشتين : إن الأمور التى تتعلق بالحق والعدل لا يمكن التمييز فيها بين مشاكل صغيرة ومشاكل كبيرة . لأن المبادىء العامة التى تحدد تصرف الإنسان غير قابلة للتجزئة . كما أن الذى يتسرع فى الحكم على الأشياء الصغيرة يفعل ما هو أسوأ من ذلك فى الأمور الكبيرة . .

وكان اينشتين يعلق على الصراع المصرى الإسرائيلى . ويرى أنه ليس صغيرا بحيث لا يهز العالم كله . لأن السلام كالحرب لا يتجزأ . كما أن مصر وإسرائيل ليستا الدولتين الوحيدتين المتجاورتين فى العالم . كما أن الحرب بينهما سوف تفزع العالم كله . .

ويقول اينشتين أيضا : إن الصراع العالمى تقليدى . إنه يتجدد بين حين وآخر ويتخذ شكلا دينيا ! . .

وفى ختام كلمة اينشتين سنة ١٩٥٥ فى ذكرى احتفال إسرائيل بالسنة السابعة على قيام الدولة ، قال ولم يكن يعلم أنه يتنبأ بمبادرة السادات :

لم يستطع سياسى يشغل منصبا مسئولا أن يتخذ قرارا جريئا ، فيختار السبيل الوحيد الذى يؤدى إلى السلام ، مرتفعا بذلك فوق حدود الوطنية الضيقة . .

والذى تمناه العالم الكبير من ربع قرن قد تحقق .

ولأن هذا الذى حدث شىء غير مألوف . فالخوف عليه هو أعمق مشاعر الشعبين الإسرائيلى والمصرى . ولذلك كان الغضب على التعنت الإسرائيلى . ليس فى إسرائيل وحدها ، إنما فى العالم كله ، وبين كل الجاليات اليهودية .

فلا تزال القدس مدينة السلام لا تعرف السلام . . لقد تجاور المسجد الأقصى وحائط المبكى ومسجد الصخرة وكنيسة القيامة . . ولكن تباعدت قلوب المؤمنين بالأديان الثلاثة .

وتحاول السياسة – الآن – أن تحقق ما عجزت عنه الأديان . .

وإذا كانت الخلافات فى المفاوضات لغوية ، فلا تزال اللغة ومفرداتها هى الوسيلة الوحيدة للتعبير . وكل أنواع الحوار هى مغامرات لغوية قبل أن تكون فكرية مذهبية . .

فنحن نقول : السلام على القدس ، أى ليكن السلام على رباها ووديانها ومعابدها وشعبها . .

وهم يقولون : بل عليها السلام . . أى أنها انتهت . وأنها لم تعد قضية . ولذلك فهى غير قابلة للمناقشة . فقد ضمنها إسرائيل إلى الدولة ، وأقفل الباب والشباك وأطبقت الأفواه . .

ونحن نقول : بل أبوابكم وأفواهكم أنتم . . أما نحن – ٨٠٠ مليون مسلم – فأفواهنا تهب منها العواصف ودعوات إلى الله فى ليلة الإسراء والمعراج ، وفى رمضان القادم وكل رمضان . .

إن هذا التحدى للعالم الإسلامى وللعالم المسيحى . لأكبر مما تقوى عليه حكومة فى إسرائيل ، بل إسرائيل نفسها ! . .

وإذا كان هناك الآن ما يضايق إسرائيل من « برودة » فى تطبيع العلاقات . فليست مصر هى السبب . .

وفى إسرائيل شعور بالمرارة واليأس والتشاؤم . وهو شعور صادق له ما يبرره . . وإذا كانت الشعوب اليهودية قد انتظرت طويلا حتى يظهر فيها « هرتسل » يطالب بتأسيس الدولة التى دفن فيها ولم يرها ، فإن اسرائيل اليوم فى حاجة إلى « هرتسل جديد » يطالب بإسرائيل جديدة تحقق السلام وتعيش به ، دون أن تلتفت وراءها فى خوف ، وتتطلع أمامها فى فزع . .

..وإلا تجددت كل الأحزان القاتمة فى نسيج التاريخ البعيد والقريب . .

□